

فِي هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ عَلَى إِمَامِ زَمَانِنَا الْحُجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمَا
بِالْفَرَجِ وَالنَّصْرِ وَبِأَخْذِهِ لِنَارِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ ، لِذِكْرِهِمْ
الشَّرِيفِ الْأَقْدَسِ زَيْنُوا الْمَجْلِسِ ثَالِثَةً بِصَوْتٍ رَفِيعٍ بِالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ
مُحَمَّدٍ

يَا زَهْرَاءَ

أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ الْعَنْ أَوْلَ ظَالِمٍ ظَلَمَ حَقَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَآخِرَ تَابِعٍ لَهُ عَلَى ذَلِكَ ،
اللَّهُمَّ الْعَنْ الْعِصَابَةَ الَّتِي جَاهَدَتْ الْحُسَيْنَ وَشَايَعَتْ وَبَايَعَتْ وَتَابَعَتْ عَلَى
قَتْلِهِ ، اللَّهُمَّ الْعَنْهُمْ جَمِيعاً .

أَعُوذُ بِجَلَالِ وَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَنْ يَنْقُضِيَ عَنِي شَهْرَ رَمَضَانَ أَوْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ مِنْ
لَيْلَةٍ هَذِهِ وَ لَكَ قَبْلِي تَبَعَةٌ أَوْ ذَنْبٌ تُعَذِّبُنِي عَلَيْهِ .

في رواياتنا الشريفة في هذه الليلة ، في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان ، إمامنا
السجاد صلوات الله وسلامه عليه ، من أول هذه الليلة إلى آخرها يلهج بهذا الدعاء
الشريف { اللَّهُمَّ ارزُقْنِي التَّجَافِي عَنِ دَارِ الْغُرُورِ وَالْإِنَابَةَ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ وَ
الاستعداد للموت قبل حلول الفوت ، اللَّهُمَّ يَا رَبِّ الْحُسَيْنِ بِحَقِّ الْحُسَيْنِ اشْفِي
صَدْرَ الْحُسَيْنِ بِظُهُورِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ }

لا زلنا في سلسلة الأبحاث التي تدور موضوعاتها حول جوانب من شؤونات غيبة إمام زماننا
عليه أفضل الصلاة والسلام _ هذه الليلة اشرع في بحث جديد ، البحث جواباً لأسئلة
متعددة من إخوتي المؤمنين حول دعاء الفرج الشريف ، الدعاء الذي أوله : إلهي عظم
البلاء وبرح الخفاء الدعاء المعروف

__ سأجعلُ كلامي في عدة مطالب _ أتحدّثُ فيها عن المعاني و المضامين الإجمالية لهذا الدعاء الكريم _ و عن كتب علمائنا التي ذكرت هذا الدعاء الشريف .

__ الاعتراض الذي يوجهه البعض و التشكيك الذي يثيره المشككون و ما أكثر المشككين في زماننا هذا , حول الفقرات الأخيرة من هذا الدعاء الشريف .

__ و بليّتنا هنا كل دعاء , كل كلام , كل فضيلة , لتكن لأي شخص , لا يُثار عليها التشكيك , لكن إذا و صل الكلام إلى أهل بيت العصمة صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين , نبخ المشككون و على نهيقهم .

__ التشكيك في هذه العبارات الأخيرة : يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيَّ , يَا عَلِيَّ يَا مُحَمَّدُ , اَكْفِيَانِي فَأَنْكُمَا كَافِيَانِ و انصُرَانِي فَأَنْكُمَا نَاصِرَانِ , يَا مَوْلَانَا يَا صَاحِبِ الزَّمَانِ , العَوْتُ , العَوْتُ , العَوْتُ , أدركني , أدركني , السّاعة , السّاعة , السّاعة , العَجَل , العَجَل , العَجَل .

__ التشكيك هنا و الاثارات هنا , حينما يتوجه الكلام و تتوجه المناجاة و النداء لبينا و أميرنا و إمام زماننا صلوات الله عليهم و على آلهم الاطيين الاطهرين .

__ و الحجة المثارة هنا : أنّ هذه المعاني المذكورة في هذا الدعاء الكريم تخالف القرآن , تخالف ما جاء في القرآن , و أنّ الروايات الشريفة إذا ما وردت لا بد من عرضها على كتاب الله , فإذا كانت مخالفة , فحينئذٍ نرمي بها عرض الجدار , هذا الكلام الذي يثار .

__ أنا سأبسط القول في هذه المسائل , لكن ابتداءً , الدعاء الشريف هذا ليس فيه إلا معنى التوسل لأهل البيت و التوسل من بديهيات عقائدنا .

__ و الذي لا يعتقد بالتوسل و بمعنى التوسط فيما بين الله و بين الخلق بواسطة الأنبياء , بواسطة الأولياء , فهو ليس من مذهبنا .

__ من أصول مذهبنا الواضحة الثابتة و التي يعرفها الصديق و العدو , هو التوسل بالأولياء , و هذه القضية واضحة و بينه و أصلاً المسألة ليست بحاجة إلى بحثٍ لضرورتها و لوضوحها

و لكن لأن الإخوة الحّوا أن أجيب على هذه المسألة , أنا أجيب وأبين المطالب _ أُبين المطالب التى تتعلق بهذا المعنى , هذه قضية .

_ و القضية الأخرى , مسألة عرض الأحاديث على القرآن , هذه مسألة طويلة عريضة و لا أريد الدخول فى تفاصيلها , لكنى بشكلٍ إجمالى أقول : هذا الكلام الذى يلقلق به الناس من دون معرفة أو دراية !

_ يا ترى متى نعرض الأحاديث على الكتاب ؟

_ نعرض الأحاديث على الكتاب فى كل حالة

_ فى حال الشك فى الرواية

_ أو عند التعارض فى الأخبار , هذا بحث مفصل , طويل

_ ثمّ من الذى يعرض الرواية , كل شخص يتمكن من عرض الأحاديث على الكتاب _ و

نفس شيخنا الكلينى رحمة الله عليه فى مقدمة الكافى , يقول : إننا لا نتمكن من عرض

كل الروايات على الكتاب و لا نعلم من ذلك إلا القليل . و هو يعيش فى عصر

التشريع , فى عصر الغيبة الصغرى و مات فى سنة ثلاثمائة و ثمانية و عشرون للهجرة و

على بن محمد ألسمرى , السفير الرابع , توفي فى سنة ثلاثمائة و تسعة و عشرين , و

ألسمرى كان فى بغداد و الكلينى كان فى بغداد .

_ مسألة عرض الروايات , يا ترى كل شخص , حتى الذين تكبر عمائمهم أو تطول لحاهم ,

ليست القضية هكذا مسألة كيفية ! حتى الذين بلغوا إلى درجة الاجتهاد فى الأحكام لا

يتمكنون من عرض كل الروايات , نعم هؤلاء تفقهوا فى باب الأحكام , فى باب العبادات و

المعاملات _ أمّا الكلام هنا نحن فى أى باب نعرض الروايات , روايات الأحكام , إذا قلنا

أننا نعرض روايات الأحكام على الكتاب _ فإنّ روايات الأحكام تخالف فى تفصيلها إجمال

الكتاب , آيات الأحكام التى وردت فى الكتاب الكرىم , آيات مجملة , مثلاً , آية حد

الزنا { و الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ } إلى آخر الآية الشريفة

__ هذه الآىة لم تقل إنّ هذا الحد لغير المحصن , الرواىات موجودة عندنا إنّ مائة جلدة لغير المحصن و المحصن حده الرجم __ هذه الرواية تعارض هذه الآىة

__ على قول أننا كل رواية نعرضها على الكتاب , هذه الرواية حينئذٍ تطرح و هكذا سائر روايات الأحكام , فإنها تتعارض فى معانيها مع المعانى الإجمالية التى وردت فى آيات الكتاب

__ أى رواياتٍ تعرض على الكتاب ! كل رواية , فى كل حال أو فى بعض الحالات فى حال التعارض فى حال الشك

__ ثم على أى من الآيات نعرض الروايات و إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام , يقول , لـ ابن عباس لما ذهب لمحاجة الخوارج و لا تحتج عليهم بالقرآن فإنه حمالة ذو وجوه .
__ فإذا كان القرآن لا يصلح للاحتجاج فى كثير من المواطن , كيف يتمكن عامة الناس , من عرض الروايات على الكتاب .

__ ثم على أى نوعٍ من الآيات نحن نعرض :

__ على النصوص

__ أو على الظواهر

__ إذا كان على ظواهر الكتاب : فظواهر الكتاب تحتمل أكثر من وجه و كل مفسر و كل فقيه , يفهم ظاهر الآىة بالفهم الذى يعتقده , فعلى أى نحوٍ من أنحاء الآيات يتم العرض
__ هذه مسألة أصلاً عريضة , طويلة , أهل الاختصاص يحىرون فيها , أهل التفسير و أهل الفقاهة يحىرون فى هذه القضية , لا أنّ عامّة الناس و الجهلة الذين لا يميزون يمينهم من شمالهم يتمكنون من عرض الأحاديث أو أنّه درس سنتين أو ثلاث سنوات دراسة أكاديمية يريد أن يقيم أحاديث و روايات أهل البيت صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين

__ مسألة عرض الروايات على الكتاب : هذه من المباني الثابتة فى أحاديث أهل بيت العصمة , لكن القضية ليست كيفية و لا يتمكن كل شخص أن يعرض الروايات على الكتاب

و بحسب فهمه القاصر , بعد ذلك يضرب الروايات عرض الجدار , هذه قضية وسبعة و مفصلة و طويلة و البحث فيها , بحث فى المباني !

— فى المباني : يعنى فى الأصول التى على أساسها نستنبط الأحكام , على أساسها نستنبط معانى العقائد من الأحاديث المعصومية الشريفة , أنا ما أريد أن أدخل فى هذا الموضوع , هذا الموضوع طويل و عريض و فيه كلام كثير , لكن هذه الإشارة الإجمالية أحببت أن أشير إليها لكي يتنبه إخوتي إلى هذه المسألة , أن مسألة عرض الروايات على الكتاب ليست بهذه السهولة , مسألة فى غاية الصعوبة .

فالقول الذى يثيره بعض المشككين , بعض الجهلة و إن قيل عنهم علماء , بخصوص هذا الدعاء الشريف , أنه يخالف الكتاب , نحن هنا فى هذه الليالي , فى هذه الليلة و الليلة الآتية أو التى بعدها , إذا لم نتمكن من إكمال البحث فى الليلة الآتية

— نريد أن نعرض هذا الدعاء على الكتاب الكرىم , اعرضه بصورتين و أعطيكم نموذج لمعنى عرض الروايات على الكتاب :

— اعرضه بصورة إجمالية

— و اعرضه بصورة تفصيلية

— لنرى كيف أن هذا الدعاء يوافق الكتاب

— و أن المراد من عرض الروايات على الكتاب بأي أسلوب يكون

— فى هذه الليلة أعرض الدعاء العرض الإجمالى , لأن الوقت ما يكفى , فى الليلة الآتية ادخل فى جزئيات الدعاء , أعرضه على آيات الكتاب

— المعنى الإجمالى للدعاء الشريف هنا !

— هو معنى التوسل : يا محمد , يا علي , يا علي , يا محمد , يا صاحب الزمان , نداء ,

توسل بالمعصومين صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين , هذه الليلة أريد أن اعرض معنى

التوسل على آيات الكتاب و نستكشف هذه الليلة معانى التوسل فى الكتاب الكرىم لنرى

أن كتابنا الكريم , و لا ارجع إلى الروايات , فقط إلى آيات الكتاب , لنرى أن الكتاب
الكريم كم تحدث عن معنى التوسل فى آياته الكريمة .

__ هناك عدة موضوعات تتعلق بالتوسل طرقها الكتاب الكريم

__ أول شيء : القرآن عرض لنا مفهوم التوسل , تحدث عن مفهوم التوسل , مفهوم التوسل
ما هو ؟ أن العبد المذنب , أن العبد الخاطئ , أن العبد الناقص , أن العبد القاصر , نحن
مذنبون , نحن مقصرون و بتقصيرنا هذا و بذنوبنا هذا , لا وجه لنا نتوجه إلى الله , نتوجه
بأهل البيت صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين .

__ و الغريب , قبل أن أدخل فى ذكر الآيات الشريفة , أننا نتوسل فى كل شيء و لا نشير
الشك فيه , فى الجانب التكويني , نحن نتوسل بالثياب نغطي بها أبداننا , نتوسل بالماء
لنخلص من العطش و هكذا , كل شيء يجري بوسيلة و بسبب , هذا فى الجانب التكويني

__ و حتى فى جانب العبادات : هذه العبارة التى نرددها دائماً , أسألکم الدعاء _ ألتمسکم
الدعاء , ما معناها ؟ معناها , أنى أتوسل إلى الله بك , استناداً إلى المعنى الذى يفهم من
الحديث القدسي _ ادعوني بلسانٍ لم تعصوني فيه _ الغريب أننا نطبق هذا المعنى على
عامة المؤمنين و على أهل البيت لا نطبقها , حينما يصل الكلام إلى أهل البيت , و واقعاً
هذه المعاني تشم منها رائحة النصب , هؤلاء نواصب الذين يقولون مثل هذا الكلام , و إلاً
هذه المعاني , حينما أقول : أسألکم الدعاء , ما المقصود , أنا وجهي اسود بين يدي الله و
أجعلك وسيلة تدعو لي بين يدي الله سبحانه و تعالى , و هذا هو معناه , ادعوني بلسانٍ لم
تعصوني فيه

__ و حقيقة هذا الدعاء , ادعوني بلسانٍ لم تعصوني فيه , ادعوني بلسان المعصوم و إلاً
حتى لسان أخي المؤمن الذى أتوسل به , التمسه أن يدعوا لي , هو أيضاً قد عصى , اللسان
الذى لم يعصى الله مطلقاً , لسان الحجة بن الحسن صلوات الله و سلامه عليهما , أصلاً
معنى هذا الحديث , ادعوني بلسانٍ لم تعصوني فيه , لسان أهل البيت عليهم أفضل الصلاة

و السلام , أن نقرأ أدعتهم إذا أردنا و أن نتقرب إليهم ليدعون لنا و ليؤمنون على دعائنا ,
أليس أن المعصوم صلوات الله و سلامة عليه هو الذى يدعو لشيئته إذا سكتوا و هو الذى
يؤمن على دعائهم إذا دعو , هكذا فى الروايات الشريفة , إمام زماننا يدعو لنا إذا سكتنا
لكن متى هذا ؟ متى , إذا أخلصنا له فى الولاية , صلوات الله و سلامة عليه و هو الذى
يؤمن على دعواتنا لو دعونا , على أي حال , هذا المطلب فيه تفصيل , أنا أرجع إلى آيات
الكتاب الكرىم , لأنى فى هذه الليلة أريد أن اعرض معنى هذا الدعاء الإجمالى و هو معنى
التوسل على آيات الكتاب

_ قلت : أن الكتاب الكرىم تحدث عن مفهوم التوسل و هو أن الإنسان يجعل فيما بينه و
بين الله وسيلة و هذه الوسيلة اقرب إلى الله منه , الآية الشريفة السابعة و الخمسون من
سورة الإسراء المباركة { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ } انتبهوا إلى الآيات و الآيات بحاجة إلى
وقوف لبيان معانيها , لكن الوقت ما يكفي { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ } _ أي شيء فيهم _
أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ _ أيهم اقرب , تفسير
بيانى لكلمة الوسيلة _ وَ يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَ يَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ
مَحْذُورًا { مورد الكلام هنا , أولئك الذين يدعون _ فى مقام الدعاء , ما بهم _ أولئك
الذين يدعون _ هذى يبتغون _ تفسير بيانى للجملة التى قبلها

_ أولئك الذين يدعون _ بيان هذا الدعاء أين يتحقق , فى الجملة التى تأتي بعدها
_ أولئك _ لا يوجد هنا واو عاطفة حتى تكون على سبيل العطف _ أولئك _ هذا فى
الإعراب ماذا يقال له , هذه الجملة , جملة تفسير بيانى للجملة التى قبلها _ أولئك الذين
يدعون , حرف عطف ما موجود فى الآية , لو كان حرف عطف لقليل أنهم يدعون و يبتغون
الوسيلة , لكن حرف عطف ما موجود فى الآية

_ أولئك الذين يدعون _ التفسير البيانى فى الجملة التى بعدها _ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ
_ أيضا ما يوجد حرف عطف هنا , ما توجد صلة معينه تربط هذه الجملة إلا التفسير البيانى

__ ىبتغون إلى ربهم الوسيلة أىهم أقرب __ هذه أىهم أقرب __ تفسىر بىانى للوسيلة , أنّ هذا الذى يدعو , ىطلب الوسيلة الأقرب إلى الله و هذا هو مفهوم التوسل , هذا مفهوم التوسل الذى نعتقده , أننا نتقرب إلى الله , بأئمتنا و لأننا وجدنا أنّ أقرب الوسائل إلى الله هو إمام زماننا , هو أميرنا , زهراننا عليها أفضل الصلاة و السّلام , هذه أقرب وسائلنا إلى الله التى عرفناها بعد التحقىق و البحث , أقرب من هذه الوسائل ما نملك و سيلة أخرى , من هنا نحن الشىعة نتوسل بهذه الوسائل المقدسة الشرىفة

__ و هذا عرضٌ لمفهوم التوسل فى هذه الآىة الشرىفة , كما لاحظتم , الآىة الخامسة و الثلاثون من سورة المائدة , أمر بالتوسل { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } أمرٌ صرىح , الآىة الأولى عرضت معنى و مفهوم التوسل , الآىة الثانية أمرت بنفس ذلك المفهوم , تلاحظون نفس الإستعمال , كلمة الوسيلة __ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ

__ الآىة السابقة : ىبتغون إليه الوسيلة __ يعنى نفس المفهوم الموجود فى تلكم الآىة , الآىة هذه أمرت به , تلاحظون الآىة السابقة __ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ

__ هذه الآىة ماذا تقول : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ __ ثُمَّ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ __ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ __ يعنى نفس المفهوم و نفس المعنى و المضمون الذى أشارت إليه الآىة السابعة و الخمسون من سورة الإسراء , أمرت به هذه الآىة الخامسة و الثلاثون من سورة المائدة و أظن أنّ المعنى واضح و لا ىحتاج أن أطىل الكلام بخصوصه , لأنّ المطالب متعددة و أرىد أن أشىر إلى مطالب أخرى , فهذا عرض إجمالى لمفهوم التوسل فى الآىة الأولى و أمرٌ بنفس ذلك المفهوم الذى جاء فى الآىة السابقة , فى الآىة الثانية و هى الآىة الخامسة و الثلاثون من سورة المائدة , هذا عرضٌ و

أمرٌ

__ ننتقل إلى مقطع آخر من كتاب الله الكرىم لنراه يحدثنا عن الأمم الماضىة و القرآن الكرىم ذكر لنا مثلاً عن أمة ضالة توسلت و عن أمة صالحة توسلت _ الآية الرابعة و الثلاثون بعد المائة من سورة الأعراف المباركة { وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَىٰ يَا مُوسَىٰ _ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ _ انتبهوا للآية _ لئن كشفت أنت , أنت _ لئن كشفت عنا الرِّجْز _ التوسل بموسى و الكشف به _ لأن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَ لَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ } الآية الشرىفة بهذا المضمون الذى ذكرتُه , تريد أن تشير أن مسألة التوسل أصلاً فطرىة و حينما يحس الإنسان بكمال شخص و بجلال شخص , أنه أجلّ منه و أنه أكمل منه و أنه أرفع رتبه منه , يتوسل به , مسألة فطرىة , هذا من جانب

__ و من جانب ثانٍ , أن الله كشف عنهم الرجز , حينما تستمر الآيات , تحدثنا , عن أن الله بتوسلهم هذا كشف عنهم الرجز , لكن بعد ذلك هم ضلوا , ما وفوا بالعهود و بالمواثىق التى أعطوها , بعد ذلك أغرقهم البارى , الآن البحث ليس فى قصة بنى إسرائيل أو فى قصة قوم فرعون , لكن القضية هنا واضحة , هذه أمة ضالة توسلت و جعلت النبى وسىلة بين يديها و تحقق المعنى الذى أرادته و نجد أن القرآن ما ذمّ هذا التوسل و إنّما عرضه و قرره

__ نوع آخر من أنواع التوسل لأمة صالحة , فى الآية الحادية و العشرين من سورة الكهف المباركة { كَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ _ يعنى على أهل الكهف _ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ _ يعنى الذين عثروا على أهل الكهف _ إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَسْجِدًا _ بناء المساجد على قبور الأولياء _ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَسْجِدًا }

__ الآىة فىها تفصىل و تشىر إلى النزاع الذى حدث بىن طائفة ضالة و بىن طائفة صالحة مهتدىة , حىنما عثروا على كهف أهل الكهف و تَبَيَّنَتْ لَهُمْ قِصَّتُهُمْ و القصة فىها تفصىل و لسنا فى مقام التفصىل , لكن الآىة تعرض هذا المعنى , إذ يتنازعون بىنهم __ يعنى الفئة الضالة من قوم أهل الكهف و الفئة الصالحة __ إذ يتنازعون بىنهم أمرهم فقالوا __ هذه الفئة الضالة __ فقالوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ __ و هم المؤمنون كما تصرح الرواىات و هذا التفسىر فى تفاسىر الشىعة و السنة __ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ __ و هم أهل الإىمان __ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا __ بناء مسجد على مزارات , على قبور الأولىاء , على أضرحة الأولىاء , على المكان الذى ىدفن فىه الولى , المكان الذى يتضجع فىه الولى , سىرة فى أمة صالحة و منذ قدىم الأزمان عرضها بنحو التقرىر و لم ىذكر ذمًا أو نكىراً على هذه السنة و هذه القضىة واضحة , صرىحة , بىنه , فى آىات الكتاب الكرىم

__ هذه نماذج من التوسل :

__ النموذج الأول من توسل أمة ضالة

__ و النموذج الثانى من توسل أمة مهتدىة

__ هناك نماذج أخرى فى كتاب الله انتقل إلى موضوع آخر , إلى مقطع آخر من كتاب الله و هو ىحدثنا عن التوسل فى بیوت الأنبىاء , فى عوائل الأنبىاء و الأنبىاء یأمرون به , فى سورة یوسف علیه السلام , حىنما یتوسلون إخوته به فى أن ىستغفر الله لهم و أن ىغفر لهم ذنوبهم , الآىة الحادىة و التسعون و الآىة الثانىة و التسعون من سورة یوسف المباركة { قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا __ هذا اعتذار و ندامة و خضوع لأولىاء الله __ و أن كُنَّا لَخَاطِئِينَ , قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } اعتذار و طلب مغفرة من نبى زمانهم , من أخیهم یوسف

— اعتذار ثانى و توسل بنبى آخر , بأبيهم يعقوب على نبينا و آله و عليه أفضل الصلاة و السلام , فى الآية السابعة و التسعين و الثامنة و التسعين من سورة يوسف المباركة { قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي — قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }

اعتذار و توسل و استغفار بين يدي أنبياء زمانهم و إن كان المفسرون يقولون : الآية الأولى تكشف عن علو رتبة يوسف عليه السلام على أبيه , إن صح هذا الاستظهار الذى استظهره أو لا , لكن بشكل سريع أشير إليه :

— فى كلام يوسف عليه السلام , لَمَّا اعْتَذَرُوا , قَالَ : لا تثريب عليكم اليوم , يعنى أعطاهم المغفرة , لا تثريب عليكم , يغفر الله لكم — و يغفرُ فعل مضارع — تشير إلى الوقت الحاضر — يغفر الله لكم و هو ارحم الرحمين

— بينما فى كلام يعقوب عليه السلام , قَالَ : سوف — و التسويف للمستقبل — قَالَ سوف أستغفر لكم ربي — سوف أستغفر لكم ربي — يعنى لم يعطهم المغفرة و التوبة — بخلاف يوسف — من هذا البيان , من هذه الحالة التى ذكرت فى الآية الأولى , فى الآية الثانية , يستغرب بعض المفسرين أن منزلة يوسف على نبينا و آله و عليه أفضل الصلاة و السلام , أعلى رتبة من يعقوب , الكلام ليس هنا , الكلام فى معنى التوسل

— فالآيتان , الحادية و التسعون و الثانية و التسعون من سورة يوسف — تشيران إلى توسل إخوة يوسف , بيوسف عليه السلام

— و الآيتان , السابعة و التسعون و الثامنة و التسعون — تشيران إلى توسل إخوة يوسف , بأبيهم يعقوب على نبينا و آله و عليه أفضل الصلاة و السلام

— فى سورة يوسف أيضاً توسل بآثار الأنبياء , فى الآية الثالثة و التسعين { أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ — هذا توسل بآثار الأنبياء , حينما نتوسل بآثار أهل البيت , هذا القرآن يصرح بها صريحاً , نبي

يأمرهم , أن يأخذوا شيئاً من بدنه , يلقوه على وجه نبي _ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ _
هو يأمرهم , اذهبوا _ فعل أمر _ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا _ تلاحظون , قميصي _ ياء المتكلم
هنا _ و اسم إشارة , هذا تحديد لأثر خاص متعلق به _ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ
عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بِصِيرًا _ بسبب القميص لا بسبب آخر _ فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي
يَأْتِ بِصِيرًا _ و لذلك الآية السادسة و التسعون تبين هذا المعنى _ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ
الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بِصِيرًا _ ألقى القميص على وجهه فارتد بصيرا _
قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ {

_ هذه نماذج من التوسلات التي ذكرها القرآن الكريم انتهى الجزء الأول من
الكاسيت

القرآن الكريم في بيوت الأنبياء _ انتقل إلى مقطع آخر يتحدث عنه الكتاب الكريم , عن
التوسل في هذه الأمة , في أمة النبي صلى الله عليه و آله و سلم , أول من توسل في هذه
الأمة من هو , أول من توسل , هؤلاء الذين يشككون في التوسل و يشككون في عقائدنا
المقدسة , التي أخذناها من العيون الصافية , من عيون آل مُحَمَّد صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامُهُ
عليهم أَجْمَعِينَ , حينما يأتون إلى باقر العتره و يقولون له , الحسن البصري لعنة الله عليه و
على من أحبه _ يقولون له : الحسن البصري , يقول كذا و كذا , ماذا يقول باقر العتره ,
يقول فليشرق الحسن البصري و ليغرب , فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يَأْتِي إِلَّا مِنْ هَاهُنَا _ و يشير إلى
صدره الشريف _ فليشرق الحسن البصري و ليغرب , فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يَأْتِي إِلَّا مِنْ بِيوتِ أَهْلِ
البيت صلوات الله و سلامه عليهم أَجْمَعِينَ , هذه المعاني واضحة في أحاديثهم المعصومية
الشريفة

_ أول من توسل في هذه الأمة و بأمر الله , الله أمره , نبينا الأعظم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله ,
في الآية الحادية و الستين من سورة آل عمران { فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ
وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ _ ثُمَّ مَاذَا _ ثُمَّ نَبْتَهَلْ _ يعني بعد أن نقدم هؤلاء

، نبتهل أي ندعو _ ثُمَّ نَبْتَهْلُ فَنجَعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الكاذِبِينَ { آية صريحة في معنى التوسل

_ و هذه ، قل ، الموجودة في أول الآية ، نفس قل الموجودة في أول سورة التوحيد { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } كما أن الله قال لنبيه : قل هو الله أحد و أمره بالتوحيد ، قال _ قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ _ بنفس القوة و بنفس قوة الأمر في التوحيد ، قوة الأمر هنا في التوسل بأهل البيت و التوسل بهذه الأسماء الشريفة ، لست بحاجة إلى أن أقول أن أبنائنا معناها ، الحسن و الحسين ، هذا المعنى واضح حتى عند المخالفين و لست بحاجة إلى أن أقول أن نساتنا معناها الزهراء عليها السلام و إن أنفسنا معناها أمير المؤمنين صلوات الله و سلامه عليه ، هذه المعاني واضحة و بديهية ، باتت من بديهيات التشيع { فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ _ بعد أن نقدم هذه الذوات الشريفة _ ثُمَّ نَبْتَهْلُ _ ندعو _ فَنجَعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الكاذِبِينَ { الباري هو الذي أمر ، من ، أمر نبيه ، المتوسل الأول في هذه الأمة خاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله و سلم ، قصة المباهله معروفة ، منقولة في كتب الخاصة و العامة ، قدم بين يديه الزهراء و الحسن و الحسين و أمير المؤمنين و غطاهم بمرط أسود و رفع يديه بالدعاء ، فهؤلاء النصارى رأوا أن الجبال تقلعت ، تزلزلت و الدخان ملئ الفضاء ، قالوا يا مُحَمَّد ، نحن نعطي الجزية ، نحن نعطي الجزية ، مرنا بما تشاء ، نحن نعطي الجزية ، مرنا بأمرك نحن طائعون ، نحن لا نتباهل ، النبي صلى الله عليه و آله لم يدعو فقط ، قدمهم و رفع يديه بالدعاء و هؤلاء رأوا الجبال تقلعت من كل مكان من حولهم و رأوا الدخان و السماء أسودت ، قالوا ، نحن ننزل على الجزية و على ما تريد و فعلاً نزلوا على الجزية و على الذي أراده النبي صلى الله عليه و آله و سلم ، هذه القضية واضحة في كتب التاريخ ، هذه القضية ليس خفية و ليس خاصة بالشيعة ، معروفة في كتب الشيعة و في كتب السنة

_ آيةٌ أخرى من الكتاب الكرىم , صرىحة فى أمر هذه الأمة بالتوسل , الآية الرابعة و الستون من سورة النساء المباركة , تلاحظون هذه الآية الحادية و الستين التى أشرت إليها قبل قليل آية المباهلة , تُحدثنا عن أمر البارى لنبيه و هى هذه كافي , كافي أن تكون دليلاً على معنى التوسل , لسنا بحاجة إلى إيراد هذا العدد الكثر من الآيات الكرىمة , لكن لأجل توضيح المطلب أنا أورد آيات أخرى و إلاً إذا أردنا أن نتبع آيات الكتاب فى هذا المعنى نحتاج إلى عدة مجالس _ آية صرىحة فى أمر الأمة بالتوسل بالنبى و طلب المغفرة , الآية الرابعة و الستون من سورة النساء المباركة { وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً } _ تلاحظون هذه الأعداد الهائلة و آيات أخرى أيضاً سأأتى على ذكرها فى هذا المجلس و إن شاء الله أيضاً إذا حانت فرص أخرى أيضاً أشير إلى هذا الموضوع بشكل أكثر تفصيل من هذا الطرح الذى طرحته و كثر من هذه المعانى , بل كل المعانى التى يُشكك فيها هؤلاء اللعناء , يقال لهم شيعه , لكن يشككون فيها , كلها تدل عليها آيات كثره من الكتاب الكرىم , لكن لجهلهم و لخبث نواياهم , يثرون مثل هذه التشكيكات فى روايات أهل البيت و فى أدعية المعصومين صلوات الله و سلامة عليهم أجمعين و إلاً ما معنى عرض الدعاء على الكتاب الكرىم , أليس بهذا المعنى , لا بدا أن نفهم آيات الكتاب و هذا شهر القرآن و هذا ربيع القرآن , لا بد أن نفهم معانى الكتاب و معانى الآيات التى نعرض عليها الروايات و ليس كل شخص يتمكن , له القدرة من عرض الروايات و الأدعية على آيات الكتاب , أبداً , حتى لو بلغ الذروة العالية فى الفقاهاه , إمام الأمة رضوان الله تعالى عليه كان يقول هذه الكلمة , كثيراً ما يرددّها فى خطابه , يقول : الفقيه الذى لا يعلم من القرآن إلاً بنسبة واحد إلى اثني عشر هذا أصلاً لا يصح تقليده _ و الآن الكثر من هذا النوع , نسبة واحد إلى اثني عشر , باعتبار القرآن عدد آياته ست آلاف و ستمائة و كسر , على اختلاف , أيضاً هناك اختلاف فى عدد الآيات و آيات الأحكام على المشهور أنها خمسمائة آية و إلاً أيضاً مختلف فى عددها , لكن على المشهور أنها خمسمائة آية , فخمسمائة آية بالنسبة إلى

ست آلاف و ستمائة ، تكون نسبة واحد إلى اثني عشر ، الغالب من أهل العلم ، من أهل الفقيهه ، من أهل الاجتهاد ، لا من عامة طلبه العلم ، من أهل العلم غالباً فقههم و اطلاعهم على آيات الأحكام فقط ، هم هؤلاء الذين يبلغون إلى هذه المرتبة ليست لهم صلاحية أن يعرضوا الروايات على الكتاب و يرفضونها ، الذين له الصلاحية أن يعرض الروايات على الكتاب ، الذي له خبره بأسرار الكتاب الكريم ، له خبره بأسرار حديث أهل البيت صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين ، و هل يوجد مثل هذا الشخص أو لا يوجد ؟ هذه مسألة أخرى ، مسألة عرض الروايات على الكتاب ليس كل شخص يتمكن ، البقال فى السوق يريد أن يعرض الروايات على كتاب الله الكريم أو طالب لا يميز المفعول من الفاعل ، لا يميز ظرف الزمان من ظرف المكان ، يريد أن يعرض الروايات على كتاب الله و يعرف تمييز هذه الروايات و معانيها ، القضية ليست بهذا البعد ، القضية خطيرة جداً ، و هذه ، هذه الأفكار ، أفكار شيطانية ، يبثها شياطين الإنس لا شياطين الجن ، شياطين الإنس أخطر من شياطين الجن فى أوساطنا

على أي حال أعود إلى الآية الشريفة الرابعة و الستين من سورة النساء { وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ } فى المجالس السابقة ذكرت رواية عن باقر العترة فى الكافي الشريف ، أنه صلوات الله و سلامه عليه قال: هذه الآية ، الله يخاطب فيها أمير المؤمنين ، تلاحظون _ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ _ جَاءُوكَ _ هنا شخص مخاطب _ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ _ الرسول غائب هنا ، هنا شخص مخاطب فى الآية و هنا غائب الرسول غائب _ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ _ يعنى هناك شخص مخاطب و هذا المخاطب أمير المؤمنين ، هذا المخاطب إمام زماننا صلوات الله و سلامه عليه ، المخاطب هنا الإمام المعصوم _ وَلَوْ أَنَّهُمْ _ انتبهوا للآية _ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ _ أنت أيها المخاطب _ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ _ لو كان الخطاب للرسول ، لقليل له و استغفرت

لهم يا رسول الله ، لو كان جاءوك هنا ، الخطاب للرسول ، لكانت الآية هكذا تكون _ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله و استغفرت لهم _ استغفار رسول الله غير و الذى تعرض عليه التوبة و المغفرة هنا ، شخص آخر مخاطب _ مع ذلك هذا الذى ورد فى رواياتنا الشريفة ، لكن حتى على هذا التفسير الشائع و التفسير الشائع مخالف للقواعد النحوية ، لكن لأنه يقلل من شأن أهل البيت يقضى و إلا هذا السياق الآن جاءوك ، كيف يخاطب النبي و فى آخر الكلام يكون النبي بصيغة الغائب ، هذه خلاف القواعد النحوية ، لو كانت هناك آية من الآيات نفسرها بأهل البيت و فيها مخالفة لبعض القواعد النحوية لقالوا هذا لا يصح ، لا يمكن ، لا يجوز ، خلاف القواعد هذا ، هذه الآية مخالفة للقواعد إذا فسرناها بالنبي ، لكن مع ذلك الآن إذا راجعنا التفاسير نجد أنها مفسرة فى النبي ، مع ذلك نحن نأخذ به ، بالتفسير الذى يقولونه ، فهى مع ذلك داله على التوسل ، مع ذلك هى دالة على التوسل لنأخذ تفسيرهم الذى يقولونه _ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ _ يا رسول الله ، نقبل بهذا التفسير _ ولو أنهم إذ ظلموا جاءوك _ يا رسول الله _ فاستغفروا الله _ يعنى أن الاستغفار بين يديك و هذا توسل و إذا صح هذا لرسول الله ، صح هذا المعنى لسائر أئمتنا صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين و المعنى واضح و صريح فى هذه الآية فى التوسل الذى يقرره الكتاب الكرىم

_ فى الآية الثالثة بعد المائة من سورة آل عمران { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا } واعتصموا _ و الاعتصام هو التوسل و نحن ماذا نقرأ فى الزيارة الجامعة الكبيرة { مَنْ وَالِكُمْ فَقَدْ وَالَى اللَّهِ وَ مَنْ عَادَاكُمْ فَقَدْ عَادَى اللَّهِ ، وَ مَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ وَ مَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ وَ مَنْ اعْتَصَمَ بِكُمْ فَقَدْ اعْتَصَمَ بِاللَّهِ وَ مَنْ اعْتَصَمَ بِكُمْ فَقَدْ اعْتَصَمَ بِاللَّهِ } وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا _ علماً أن الروايات الموجودة فى كتبنا ، فى معنى حبل الله و حتى فى كتب العامة ، أنا مستخرج روايات من كتب العامة ، أن حبل الله الموجود فى هذه الآية هو على ابن أبى

طالب صلوات الله و سلامه عليه , لكن ما عندي وقت أشير إلى هذه الروايات , الوقت
يجري سراعاً و عندي مطالب أخرى أريد الإشارة إليها

_ و فى نفس سورة آل عمران الآية الثانية بعد العاشرة و المائة , آية مائه و اثني عشر {
ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيَّنَ مَا تُقْفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ} يعنى أنّ
خلاص الناس الذين ضلوا من الذلة و من الإهانه و من التيه _ إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ
مِنَ النَّاسِ _ الحبل من الناس من هو , هنا فى هذه الآية الشريفة , الإمام المعصوم ,
يعنى أنّ هؤلاء إذا توسلوا , فى الروايات الشريفة _ إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ
_ الرواية عن صادق العترة و عن غيره من المعصومين صلوات الله عليهم , قال , الكتاب
و العترة _ وصية نبينا الأعظم صلى الله عليه و اله و سلم , واقعاً هذه المطالب بحاجة إلى
تفصيل , لكن ما عندنا وقت للتفصيل و أكتفى بهذه الإشارات و التلميحات السريعة

_ أيضاً أنتقل إلى موطن آخر و موضع آخر من آيات الكتاب الكرىم التي تحدثنا عن السر
فى توسلنا بأهل البيت و الكتاب تعرّض إلى هذا المعنى , السر الذي يدفعنا و الحكمة التي
تدفعنا , التوسل بأهل البيت لأي سبب ؟

_ أولاً لأنّ العطاء يأتي من قبلهم , الآية الشريفة التاسعة و الخمسون من سورة التوبة
المباركة , انتبهوا للآية { وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ _ آتاهم , هو الذي
يؤتي _ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ
فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ } الآية صريحة فى باب معنى الإعطاء و لذلك فى
زيارة الندبة أو زيارة آل يس غير المشهورة , كيف نخاطب الأئمة عليهم أفضل الصلاة و
السّلام , الزيارة المروية عن الإمام الحجة و التي يستحب زيارته بها فى السرداب الشريف {
و من تقديره _ يعنى و من تقدير الله , انتبهوا للمقطع _ و من تَقْدِيرِهِ مَنَائِحُ الْعَطَاءِ
_ منائح , جمع منحة , و العطاء , العطاء الإلهي الفيض _ و من تَقْدِيرِهِ مَنَائِحُ الْعَطَاءِ
بِكُمْ _ بِكُمْ , أنتم يا آل الرسول _ و من تَقْدِيرِهِ مَنَائِحُ الْعَطَاءِ بِكُمْ إِنْفَادَهُ مَقْرُوناً

مَحْتُومًا , فَمَا شَيْءٌ مِنْهُ _ من هذا العطاء _ إِلَّا وَ أَنْتُمْ لَهُ السَّبَبُ وَ إِلَيْهِ السَّبِيلُ
_ و لذلك نحن فى الزيارة الجامعة نسلم عليهم _ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَوْلِيَاءَ النُّعْمِ _ و
أولياء النعم هو هذا المعنى _ و من تَقْدِيرِهِ مَنَائِحَ العَطَاءِ بِكُمْ إِنْفَادَهُ مَقْرُونًا مَحْتُومًا
, فَمَا شَيْءٌ مِنْهُ _ من العطاء من الفيض _ إِلَّا وَ أَنْتُمْ لَهُ السَّبَبُ وَ إِلَيْهِ السَّبِيلُ
_ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ
فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ _ هذه الآية التاسعة و الخمسون من سورة التوبة المباركة , هذه العلة
الأولى , الحكمة الأولى , التى لأجلها نتوسل بهم عليهم السلام , باب العطاء و الإعطاء
منهم

_ العلة الثانية أيضا بينها القرآن : أَنَّهُم الذوات الغنية المغنية , ذوات أغناها الله ,
فكانت غنية و مغنية , الله أعطاها الغناء , ثُمَّ هِيَ أَغْنَتِ المخلوقات
_ الآية الرابعة و السبعون من سورة التوبة { وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ
فَضْلِهِ } أَغْنَاهُمْ , و هذه الواو عاطفة , يعنى الله أغناهم و رسوله أغناهم _ و ما نقموا _
الواو العاطفة , المعطوف و المعطوف عليه نفس القوة فى المعنى و الدلالة _ وَمَا نَقَمُوا
إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ _ فالأغناء و الغنى , البارى سبحانه و تعالى هو الغنى
المغنى , هو إله الأغنياء و هو الذى اغنى هذه الذوات الشريفة و جعل الفيض و جعل
العطاء يأتى من هذه الذوات _ الذوات المقدسة , لذا نحن نتوسل بهم
_ تحضرني حادثة هذه الحادثة ينقلها شيخنا الكراجكي , المحدث الكراجكي رحمة الله
عليه , من أجلة علماء الطائفة , ينقلها فى كتابه _ كنز الفوائد _ نفس الحادثة ينقلها شيخنا
الحر العاملي فى كتابه الوسائل _ وسائل الشيعة _ الكتاب المعروف الذى يرجع إليه كل
فقهائنا فى استنباط الأحكام و الفتية و كذلك يذكر نفس هذه الحادثة , شيخنا المحدث
عباس القمي رحمة الله عليه فى كتابه _ سفينة البحار _ الجزء الثانى من الطبعة الحديثة _
الجزء الثانى من الطبعة الحديثة و نفس الحادثة أيضاً يذكرها الشيخ المجلسي فى _ بحار

الأنوار _ و يذكرها شيخنا عبدالله النوراني البحراني فى _ العوالم _ و أيضاً السيد المستنبط فى كتابه _ القطرة , بحار مناقب النبي و العترة صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين _ و غيرهم , لستُ بصدّد استقصاء مصادر هذه الرواية الشريفة , الرواية عن صادق العترة عليه أفضل الصلّاة و السلام أنّه فى يومٍ من الأيام أكَلَ أبو حنيفة النعمان من إمامنا الصادق طعاماً , فلَمَّا فرغ إمامنا الصادق عليه السلام من طعامه و رفع يده , قال , الحمدُ لله ربّ العالمين , اللهمّ إنّ هذا منك و من رسولك صلى الله عليه و آله _ هذا مستحب على المائدة أنّ الإنسان بعد أن يقوم من طعامه , روايات كثيرة عندنا , فى كتاب _ الشهادة الثالثة المقدسة _ فى الجزء الثالث أنا أوردت كثير من الروايات التى تتعلق بهذا المضمون , الروايات التى جاءت فى الكافي الشريف و الكتب الأربعة من استحباب هذه القولة على مائدة الطعام _ الحمدُ لله ربّ العالمين , اللهمّ إنّ هذا منك و من محمدٍ و آل محمد صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين _ وردت روايات كثيرة عن الأئمة بهذا الخصوص _ فالإمام رفع يده من طعامه , قال الحمدُ لله ربّ العالمين , اللهمّ إنّ هذا منك و من رسولك صلى الله عليه و آله _ أبو حنيفة و هؤلاء المشككون مثل أبي حنيفة , الآن تلاحظون القصة حينما تستمر , نفس الكلام , حتى الإمام عليه السلام أيضاً يخاطبه و يخاطب أشباهه _ أبو حنيفة قال , يا أبا عبد الله أ جعلت مع الله شريكاً _ يعنى أنّ الإمام شكر الله و شكر رسول الله صلى الله عليه و آله _ قال , يا أبا عبد الله أ جعلت مع الله شريكاً , قال , و يلك إنّ الله تعالى يقول فى كتابه , و لو أنّهم رضوا ما آتاهم الله و رسوله و قالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله و رسوله _ سيؤتينا الله من فضله و رسوله , و قال فى موضع آخر , و ما نقموا إلا أن أغناهم الله و رسوله من فضله _ الآيتان اللتان قبل قليل قرأتهما , و نحن نأخذ هذه المعاني من أين , نأتى بها من جيوبنا , و

هذه روايات أهل البيت ، و روايات أهل البيت أيضاً هي التي تستدل بهذه الآيات الكرىمة
_ و قَالَ تَعَالَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ ، وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ
فَضْلِهِ ، فَأَبُوا حَنِيفَةَ قَالَ ، و اللَّهُ لَكَأَنَّيَ مَا قَرَأْتُهُمَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ _ يعنى أين
غابت عني هاتان الآيتان _ و اللَّهُ لَكَأَنَّيَ مَا قَرَأْتُهُمَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ و لَا سَمِعْتُهُمَا إِلَّا
فِي هَذَا الْوَقْتِ !! ماذا أجابه صادق العترة عليه السلام ، قَالَ بَلَى قَدْ قَرَأْتُهُمَا و
سَمِعْتُهُمَا ، و لَكِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ فِيكَ _ انتبهوا للكلام _ و فِي أَشْبَاهِكَ _ أشباهه هؤلاء
الذين يعيشون في أوساطنا فيشككون في مقدساتنا _ و لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ فِيكَ و فِي
أَشْبَاهِكَ ، أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا _ الآية _ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ _
هم لا يتدبرون القرآن ، و يأتون فيقولون هذه الروايات و هذه الأحاديث معارضة للقرآن من
دون خبرة ، من دون معرفة ، من دون دراية _ و لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ فِيكَ و فِي
أَشْبَاهِكَ ، أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ، و قَالَ تَعَالَى ، كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا
كَانُوا يَكْسِبُونَ _ يعنى أن هذا التشكيك إنما جاء من سواد قلوبهم ، من خبث نواياهم ،
من فساد سريرتهم ، من سوء أخلاقهم و الإمام تلاحظون ، قال له أنزل فيك و في أشباهك
، و هو على أي شيء أعترض ، أعترض على شكر الله و شكر رسوله على المائدة ، و
الإمام أجابه بآيات صريحة من الكتاب الكرىم كنا قد أشرنا إليها قبل قليل ، فهذا عرض
إجمالى لمعنى التوسل في الكتاب الكرىم ، مصاديق مختلفة ، آيات متعددة ، كلها تشير
إلى هذه العقيدة ، و هذا هو السر في توسلنا بأهل البيت ، و هذا هو السر في طول مكوثنا
على أعتابهم الشرىفة صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين ، البارى هو الذى أمرنا بذلك {
قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُوا أَبْنَاءَنَا } هو الذى أمر نبيه بالتوسل ، أمره بالانقطاع و أمره بالتبتل و
الابتهاال و أن نقدم أولياء الله بين أيدينا ، ربمّا طال بكم المجلس و أتعبكم الجلوس ، لكنى
اختم حديثى بهذه الحادثة ، الشيخ محسن قرأتى ، تعرفونه ، إن لم يعرفه احد شخصياً
فأسبوعياً في التلفزيون برنامج من دروس من القرآن الكرىم في كل ليلة جمعة في ليالى شهر

رمضان , الشيخ محسن قرأتى شخصية معروفة هو الذي نقل هذه الحادثة , يقول في بعض زيارتي لمدينة مشهد , حينما توجهت إلى الحرم الشريف لزيارة الإمام الثامن و فقنا الله تعالى و إياكم لزيارته من قريب و من بعيد , لما توجهتُ لزيارة الحرم الشريف و قاربنا الحرم المقدس و هذه الساحة المفتوحة أمام الباب الشريف , يعني أمام باب الصحن لحد الآن لم يدخلوا إلى للصحن , يقول , نزلنا من السيارة و معه مجموعة من المرافقين له , فوقفت أسلم على الإمام و أؤدي مراسم التحية و الآداب قبل أن ادخل إلى باب الصحن , توجد مساحة , ساحة كبيرة أمام باب الصحن الشريف , يقول لفت نظري قضية غريبة , أنه وسط هذا الازدحام ناس و كثرة الزوار و كثرة السيارات و أصوات السيارات , رأيتُ كلباً يقف , هكذا , باتجاه باب الصحن الشريف و متوجه إلى الباب , متوجه إلى جهة الحضرة , يعني ليس هكذا كلب عابر سبيل , كلب متوجه إلى جهة الحضرة و عيون الكلب مشدودة إلى جهة الحرم المقدس , هذه المسألة أثارت عندي فضول معرفة هذه القضية , قلت للمرافقين لي أنتم ادخلوا أنا أبقى , بقيت أراقب الكلب ماذا يصنع , بقي الكلب على هذه الحالة باتجاه الحرم الشريف مقدار من الوقت و إذا بسيارة مرسيدس حديثة جاءت و قفت , نزل منها رجل أخذ الكلب و ضعه في السيارة و انطلق بسيارته , في هذه الأثناء المرافقون لي , أصحابي جاؤوا , فقلت لهم نركب السيارة و نتبع هذه السيارة , ركبنا سيارتنا و تبعنا السيارة المرسيدس , السيارة المرسيدس تسير , تسير و نحن نسير , إلى أن دخلت في احد الأحياء التي يقطنها أهل الثراء و الامول , و صلت السيارة إلى أحد الأبواب العريضة و دخلت و أغلق الباب , بعد فترة زمنية قليلة أنا نزلت من السيارة و ذهبت إلى الباب طرفته , خرج صاحب المنزل فلما رأني تعجب , قلت تعرفني قال نعم أعرفك , كنت قد رأيت صورتك , أنا فلان و أنا عندي مسألة واحدة , أنا لا أريد أن ادخل إلى البيت و لا أريد أن أزاحمك , سؤال واحد , ما هي قصة هذا الكلب , هذا الكلب أنا رأيته واقف بباب الحضرة الشريفة , ثم أنت جئت , القضية أثارت انتباهي , حتى ما دخلت للزيارة أصلاً شغلتنى هذه القضية و أنا أريد أن اعرف قصة هذا الكلب , قال لي , هذا الكلب عندي منذُ عشرين سنة , أكثر

من عشرين سنة , كان يحرس البيت , الآن كبر سنه , يؤذينا , يعنى , لا يقوم بالحراسة , دائماً نائم باعتبار كلب و كبر , فرأيت أنه لا فائدة فيه , فوضعتة فى كيس و شددت هذا الكيس و خرجت بنفس هذه السيارة إلى منطقة بعيدة عن مشهد و ألقيته بين الجبال , فيما بين الجبال ألقيت هذا الكلب حتى اخلص منه , هذه منطقة بعيدة و الكلب لا يعود , فبعد أن ألقيته بعد ثلاث , أربع ساعات و رجعت , أخذني النعاس نمت , رأيت الإمام الرضا عليه السلام فى المنام يقول لي أما تستحي , كلب عشرين سنة يخدمك أما تستحي هكذا تفعل , قم الآن , فإنه يتوسل بي و هو واقف بباب الحضرة الشريفة , فجئت إلى هذا الكلب و أخذته أرجعته إلى بيتي بأمر الإمام الرضا صلوات الله و سلامه عليه , نحن نتوسل بأهل البيت صلوات الله و سلامه عليهم لأننا نعلم أنهم أهل الوفاء , لأننا نعلم أنهم أهل الغيرة , لأننا نعلم أنهم أهل الجود و السخاء , هكذا نتوسل بأهل البيت صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين , أبيات تحضرني لأحد شعراء أهل البيت و هو يتحدث فيها , يصف حالته حينما أراد أن يزور الإمام الرضا صلوات الله و سلامه عليه , يتحدث عن حالته النفسية فى أنه كيف سيواجه الحرم الشريف

قالوا غداً نأتي ديار الحمى و ينزل الركب بمغناهم

قالوا غداً نأتي ديار الحمى , و أنت تصور معي هذه المعاني لو أن الإمام الحجة الآن ظهر و لو جاء البشير إلينا الآن يقول إمام زماننا قد ظهر صلوات الله و سلامه عليه بأي حاله نتوجه إليه , هذه المعاني فى هذه الأبيات واقعاً من المعاني الجميلة فى التوجه لأهل البيت عليه السلام

وَيَنْزِلُ الرُّكْبُ بِمَغْنَاهُمْ

أَصْبَحَ مَسْرُوراً بِلِقْيَاهُمْ

.....

بأي وجه أتلقاهم

لا سيّما عمّن ترّجّاهم

قَالُوا غَدًا نَأْتِي دِيَارَ الْحِمَى

فَكُلُّ مَنْ كَانَ مُطِيعاً لَهُمْ

قُلْتُ فَلِي ذَنْبٌ فَمَا حِيلَتِي

قُلْتُ فَلِي ذَنْبٌ فَمَا حِيلَتِي

قَالُوا أَلَيْسَ الْعَفْوُ مِنْ شَأْنِهِمْ

قُلْتُ فَلِي ذَنْبٌ فَمَا حِيلَتِي بَأْيِ وَجْهِ أَتَلَقَّاهُمْ
قَالُوا أَلَيْسَ الْعَفْوُ مِنْ شَأْنِهِمْ لَأَسِيْمًا عَمَّنْ تَرَجَّاهُمْ
فَجِئْتُ أَسْعَى إِلَى بَابِهِمْ أَرْجُوهُمْ طَوْرًا وَأَخْشَاهُمْ

و الحديث عن التوسل بأهل البيت و في هذه الليلة و هذه ليلة من ليالي التوسل , ليلة السابع و العشرين نتوجه إلى إمام زماننا , إلى نور عيوننا , إلى أملنا في النجاة في الدنيا و الآخرة , إلى الحجة بن الحسن صلوات الله عليهما , أتوسل إليه هذه الليلة بآلام الرباب و بأحزان الرباب صلوات الله عليها و بلوعة الرباب , أن ينظر إلينا بنظر لطفه و جوده و كرامته صلوات الله و سلامه عليه , أقسم عليه بوفاء الرباب لسيد الشهداء , الرباب بقية سنة بعد سيد الشهداء ثم توفيت , بقيت سنة ما جلست تحت سقف تبقى

إلهي وقف السائلون ببابك و لاذ الفقراء بجنابك و وقفت سفينة المساكين على ساحل بحر جودك و كرمك يرجون الجواز إلى ساحة رحمتك و نعمتك , إلهي إن كنت لا ترحم في هذا الشهر الشريف إلا من أخلص لك في صيامه و قيامه فمن للمذنب المقصر إذا غرق في بحر ذنوبه و آثامه , إلهي إن كنت لا ترحم إلا المطيعين فمن للعاصين و إن كنت لا تقبل إلا من العاملين فمن للمقصرين , إلهي رب الصائمون و فاز القائمون و نجا المخلصون و نحن عبيدك المذنبون و نحن عبيدك المذنبون و نحن عبيدك المذنبون , فارحمنا برحمتك و اعتقنا من النار بعفوك و اغفر لنا ذنوبنا برحمتك يا أرحم الراحمين , بمحمد و آله الطاهرين

اللَّهُمَّ يَا رَبَّ الْحُسَيْنِ , بِحَقِّ الْحُسَيْنِ , اشفِ صدرَ الحسينِ بظهورِ الحجةِ عليه السلام
أسألكم الدعاء جميعاً و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ملاحظة :

- (1) الأفضل مراجعة الكاسيت لاحتمال وجود بعض الأخطاء المطبعية .
- (2) و قد تكون بعض المقاطع غير مُسجّلة من الوجه الأول و الثانى للكاسيت فىرجى مراعاة ذلك .

(و نسألکم الدعاء لِتَعْجیل الفرج)